2



بقلم : أ . عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ . اسماعيل دياب
إشراف : أ . حمدى مصطفى

ابن آوى والحمار

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

كـانَ ابنُ آوَى يـعـيشُ فى وكْـر قـريب مِنْ أحَـدِ الْبَسـاتينِ ..

وكـانَ على ذلكَ الْبُسْـتـانِ سـورٌ حَـصينٌ يصْعُبُ دُخولُ الْبُستانِ مِنْ خِلالِهِ ..

وكان ابنُ آوَى يشمُّ رائحـةَ الثِّمارِ النَّاضِجـةِ لِلْفاكهةِ اللَّذيذةِ التى تفوحُ مِنْ داخِلِ الْبُسْـتـانِ ، فتَشْـتَـهيـهَا نَفْسُهُ كثيرًا ، ويتَعذَّبُ لأنَّهُ لا يستطيعُ أنْ يأْكُلَ مِنْها ..

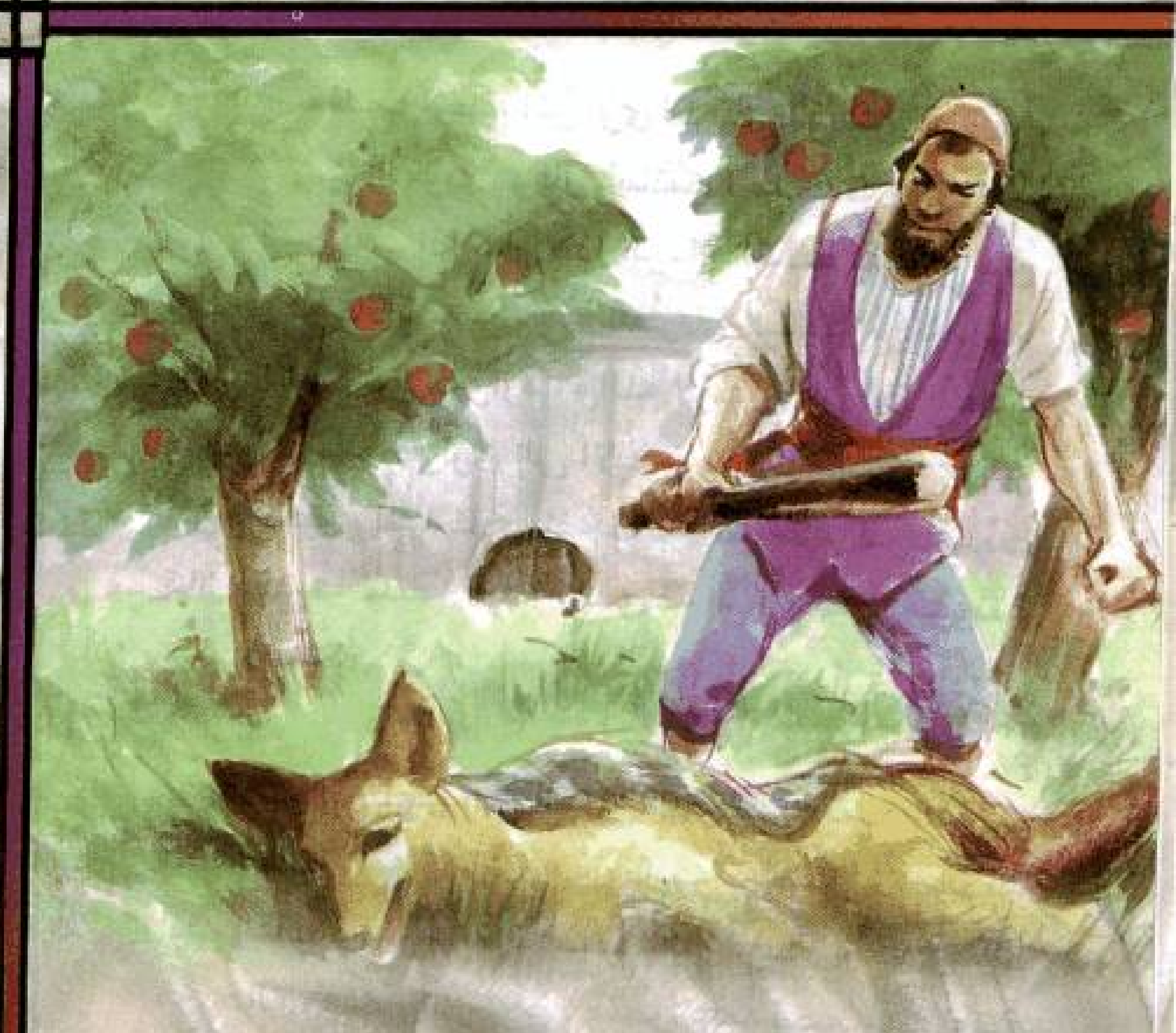
وبعدَ تفْكيرٍ طويلٍ اهْتَدَى ابنُ آوَى إلى حِيلَةٍ يتمكَّنُ عنْ طَريقِها مِنْ دخولِ الْبُسْتانِ ، وذلك عنْ طريقِ مَجْرَى الْماءِ الْمارِّ مِنْ تحتِ السُّورِ ..

فأَخذَ يدخلُ الْبُسْتانَ كلَّ يَوْم ، ويأْكُلُ مِنْ ثِمارِ الْفَاكِهَةِ الشَّـهِـيَّـةِ حـتى يَشْـبَعَ .. ثم يَخْـرجُ دُونَ أنْ يُحِـسَّ به صاحِبُ الْبُسْتـانِ .. واستـمر على ذلك الحـال لبعض الوقت ..

* * *

ولاحظَ صاحبُ الْبُستانِ أنَّ هناكَ مَنْ يسْرِقُ ثِمَارَهُ ، فأَخذَ يُراقبُ الْبُسْتانَ ، حتى اهْتَدَى إلى الْمكانِ الذى يَنْفُذُ مِنْه ابْنُ آوَى عن طريق مَجْرَى الْماء ..

وذاتَ يَوْم كانَ ابنُ آوَى داخِلَ الْبُسْتانِ ، مُنْهَمِكًا فى الْتِهامِ الثِّمارِ النَّاضِجَةِ ، فتَسَلَّلَ صاحبُ الْبستانِ إلى



مَجْرَى الْماءِ وسدَّهُ .. ثم اتَّجهَ إلى ابْنِ آوَى ينْهالُ عليهِ بهرَاوَةٍ غليظَةٍ ، حتى كادَ يُهْلِكَهُ ..

فلما أَدْرَكَ ابنُ آوَى أنَّه هالِكٌ أَلْقَى بِنفْسهِ على الأَرْضِ ، وكتمَ أَنْفَاسَهُ ، فلما رآهُ صاحبُ البُسْتانِ ظنَّ أنَّهُ ماتَ ، فجذبَهُ مِنْ ذَيْلهِ ورمَاهُ خارِجَ الْبُستان ..

فلما أَفاقَ ابْنُ آوَى لمْ يُصَدِّقْ أنَّه نجا مِنَ الْمَوْتِ ، وقال مُسْتَنْكِرًا ما حَدثَ له :

ـ إذا كان هذا الْجارُ الْقديمُ لَمْ يراعِ حقَّ الْجوارِ ، وكادَ يَقْتُلُنى بهذه الطَّريقةِ الْبشِعَةِ ، فلا فَائِدَةَ بعْدَ الْيَوْمِ فى جوارِه ، واللَّهِ لأَرْحلَنَّ عنْ هذا الْمكان وأَحْرِمُهُ مِنْ جِوارى إلى الأبد .. ولمْ يَدْرِ ابْن آوى إلى أيْن يَرْتَحِلُ ، لكنَّه تذكَّرَ انهُ يُوجَدُ فى مكانٍ قريبٍ ذِئْبٌ كانَ صديقًا قديمًا لأبيهِ ، فتوجَّهَ إليهِ قاصِدًا مَعُونَتَهُ على الْحياةِ ..

* * *

وصل ابْنُ آوى إلى الْمكانِ الذى يُقيمُ فيه الذِّئْبُ ، فسلَّمَ عليْه ، وعرَّفَه بِنَفْسِهُ وبأَبِيهِ .. ثم ذكَّرَهُ بصُحْبَةِ أبيهِ الْقديمَةِ لهُ ، فتلقَّاهُ الذِّئْبُ بالتَّرْحيبِ ، وأخذ يسْألهُ عنْ حالهِ ، فبَكَى ابْنُ آوى ، وقصَّ عليْه قصَّتَهُ مِنْ أوَّلها إلى آخِرِها ، وكيْفَ تنكَّرَ لهُ الزَّمانُ ، وكادَ جارُهُ أنْ يقْتُلَهُ منْ اجْلِ بِضْعِ ثَمَراتٍ من الفاكِهةِ .. فطيَّبَ الذِّئْبُ خاطِرَهُ ، وقال لهُ :

ـ أنْت ضَيْفٌ ، وقدْ وجبَ علىَّ إكْرامُكَ ..

ولمْ يكُنْ لَدَى الذِّئْبِ شىْءٌ ليقدِّمَهُ له ، فاستعدَّ لِلْخُرُوجِ للصَّيْدِ .. ولاحَظَ ابْنُ آوى ذلك فقالَ له :



- إِلى أَيْنَ الْعَزْمُ ؟!

فقالَ الذِّئْبُ :

- عارٌ علَى الْفَتَى أنْ يُجوِّعَ ضَيْفَه ..

فقال ابنُ آوَى :

- إنِّى أَعْرِفُ حِمارًا يقيمُ فى مَرْعًى قريبٍ منْ هذا الْمكانِ ، لو أَذِنْتَ لى لذَهَبْتُ إِلَيْهِ وتحايَلْتُ علَيْه ، حتى آتِىَ به إلى هنا ، فيكونُ لنا غِذاءً عِدَّةَ أَيَّامٍ ..

فقال الذئب :

ـ نِعْمَ الرَّأْىُ .. اذْهَبْ وتحايَلْ عليهِ حتى تُحْضِرَه ..

* * *

واتَّجَــه ابْنُ آوَى إلى الْمكانِ الذى يُقيمُ الحِمارُ فيه فرأى صاحِبَهُ قدْ حمَّلَهُ بعدَّةِ أجْوِلَةٍ منَ الْحُبوبِ ، وساقَهُ قاصِدًا به الطَّاحُونَةَ ، والْحِمارُ المسْكينُ يئِنُّ تَحْتَ حِمْلِهِ الثَّقيلِ ، حتى كادَ يقْصِمُ ظَهْرَهُ ..

وبعدَ قليل توقَّفَ الْحِمارُ عند باب الطَّاحونَةِ ، فأَنْزَلَ عَنْهُ صاحِبُهُ الأَحْمالَ ، وأَطْلَقَهُ يَرْعَى ، فتقدَّمَ مِنْهُ ابْنُ آوَى وسلَّمَ عليْهِ ، وكأنَّه يعْرِفُهُ مُنْذُ زَمَنٍ طويل ..

ثم أخذ يسْأَلُه عنْ حاله ، فأَخَذ الْحِمارُ يَشْكُو مايُعانيهِ منْ قَسْوَةِ صاحِبِهِ ، وكَثْرَةِ الأَحْمالِ التى يَحْمِلُها ، والْمُعامَلَةِ السَّيِّئَةِ التى يُلاقيها ..

فقالَ له ابْنُ آوَى مُحَرِّضًا :

ـ إلى متى يا أخى تَصْبِرُ على هذه الْمُعامَلَةِ الْقاسِيَةِ ؟!

إلى مَتى تَصْبِرُ على الذُّلِّ والْهَوانِ ، وكَثْرَةِ الأَحْمال والضَّرْبِ والْجُوعِ والْعَطَشِ والإهْمال ؟!

فكادَ الْحِمارُ المسكينُ أنْ يَبْكِىَ مِنَ التأثُّرِ ، لكنَّهُ تمالَكَ نَفْسَه وقال :

ـ لو أنَّنى لَقِيتُ مَلْجأً يأْوينى ، أوْ مكانًا يَقِينى كُلَّ هذا الْعناء ، لهَرَبْتُ إليه ، وتخلَّصْتُ من هذا الشَّقاءِ الْمُقيمِ ، والْهَوانِ الْجَسيمِ ..



فقال ابْنُ آوَى ، وقد وجد فُرْصتَهُ :

- لا تَحملْ هَمًا يا أخى .. لقدْ مَزَّقْتَ نِياطَ قَلْبى بهذهِ الْحياةِ التى تحكى عنْها .. أَنا أَعْرِفُ مكانًا قريبًا مِنْ هُنا .. إنه رَوْضَةٌ غنَّاءُ مُزْهِرَةٌ ، تكْثُر فيها الحشائِشُ الغَضَّةُ ، والأَعْشابُ اللّيِّنَةُ ، والأشجارُ الظّليلة .. والأهمُّ من ذلك أنهُ آمِنٌ مِنَ الْوُحوشِ والسِّباع ، حَصِينٌ من الأذَى والشُّرُور.. أنا أَعيشُ فى هذا الْمكَانِ مُنْذُ زَمنٍ ،

ولو شِئْتَ أخَذْتُكَ لِتُقِيمَ مَعى ، وتَرْتاحَ مِنْ هذا الْعناءِ الْجَسِيم ..

ثِقْ تَمامًا أنَّك ستلْقَى مِنِّى أحْسَنَ الْجِوارِ ، فنَعيشُ حياةً هنِيئَةً ، وينْعَمُ كلٌّ مِنَّابجِوار الآخرِ .. لنْ أجِدَ رفيقًا أفضلَ مِنكَ يُشارِكنى هذهِ الحياةَ السَّعيدةَ ..

* * *

فلما سَمِعَ الْحِمارُ هذا الكلامَ الْمَعْسُولَ مِنَ ابْنِ آوَى ، تاقَتْ نَفْسُهُ إلى الْخَلاصِ ممَّا هو فيه مِنْ شَقاءٍ ، فقالَ :

- أنا ذاهِبٌ معكَ يا أخى .. عَجِّلْ فى الْمَسِيرِ قبْلَ أنْ يَشْعُرَ بنا صاحِبى ..

وانْطَلَقَ الْحِمارُ يَعْدُو وابْنُ آوَى لا يكادُ يلْحَقُ بِه ، حتى شعَرَ بالتَّعبِ ، وأخذَ يلْهَثُ .. ثم عكَسَ الْمَسْألةَ قائلاً :

- انْتَظِرْ يا أخى حتى أحْمِلَكَ وأُسْرِعُ بكَ ، فلا يلْحَقُ بنا أحدٌ ..

فضحكَ الحِمارُ مِنْ ظَرْفِ ابْنِ آوَى وقال :

- أنتَ لنْ تَقدِرَ على حَمْلِى ، لكِنَّنى أستطيعُ أنْ أحْمِلَكَ ..



تعالَ لِتَرْكَبَ فوْقَ ظَهْرى ..

وركبَ ابْنُ آوَى فوْقَ ظهرِ الْحِمارِ ، وأخذ الْحِمارُ المِسْكينُ يَعْدُو به ، وهو لا يَدْرى أَنَّهُ مُنْطَلِقٌ إلى حَتْفِهِ ..

وعنْدما اقْتربَ الحِمارُ منَ الْمَرْجِ الذى يقيمُ فيه الذِّئْبُ ، رأَى الذِّئْبَ جالسًا ينْتَظِر ، فعرفَ أنَّ ابْنَ آوَى قد غرَّرَ به ، وقادَه إلى الْمَوْتِ ، وقال فى نَفْسِه :

ـ تأْتى الْمصائِبُ وأنا غافِلٌ عنْها ..

وأَدْرك الحِمارُ أَنه سعَى لِلْهَلاك بنَفْسِه ، وأَنَّهُ لابُدَّ أَن يستعمِلَ الْحِيلَةَ لِلْخروجِ من هذه الْمصيبةِ الْفادحةِ ، التى قادَ نفْسَه إِلَيْها ، بتَمَرُّدِه الْمفاجِئ على حَياتهِ ، وثِقَتِه بذَلك الْمُحتالِ الْمُزَيِّفِ ..

ثم وقفَ الْحِمارُ يفكِّرُ فى حَلٍّ عاجلٍ وسَريعٍ ، فقال لهُ ابْنُ آوَى :

ـ مالكَ وقَفْتَ هكذا فَجْأَةً ؟! أَسْرِعْ يا أَخى ، حتى لا يَلْحَقَ بنا صَاحِبُكَ ..

فقال الْحِمارُ فى دهاءٍ :

ـ هذه الرَّوْضةُ أَجْملُ بكثيرٍ مما حدَّثْتَنى عَنْها ..

فقالَ ابْنُ آوَى :

ـ هلْ صدَّقْتَ أَنَّنى لمْ أَخْدَعْكَ ، ولمْ أُحَدِّثْكَ عنْ وَهْمٍ ؟!

فقال الحِمارُ :

ـ نعمْ ، لكنَّنِى لما رَأَيْتُها ، واسْتَنْشَقْتُ هَواءَها ندِمْتُ ندَمًا شديدًا على أَنَّنى لمْ أُنْهِ كُلَّ الأَعْمالِ المتعلِّقَةِ بى ، وقطعْتُ عَلاَقَتى بكُلِّ ما وَرائى ، حتى أَعيشَ هانئَ الْبَالِ ، لا يَشْغَلُ بالى أىُّ شَىْءٍ عنِ السَّعادةِ هنا ..

فقالَ ابنُ آوَى :



ـ ماذا تَقْصِدُ بكلامِكَ هذا ؟

فقالَ الْحِمارُ :

ـ لا شَيْءَ سِوى أنَّنى قَرَّرْتُ أَنْ أَعُودَ إلى بَيْتِى ، حتَّى أَفْرُغَ مِنْ تلك الأَعْمالِ .. ثم أَحْمِلُ أثاثى ، وآتى كَىْ أَعيشَ معكَ هنا إِلى الأَبَدِ ..

فقال ابْنُ آوَى :

- يا أخى ، لا يجبُ عليْكَ أنْ تُؤخِّرَ أوْقاتِ السُّرورِ والْهناءِ إلى الْغدِ ، لأنَّ فى ذلك مَضْيَعَةً لِلْوقت .. ما قيمةُ هذا الأثاثِ ؟!

فقالَ الحِمارُ فى إصْرارٍ :

- إنَّ أهَمَّ وأعْظمَ شىْءٍ فى هذا الأثاثِ هو وَصِيَّةٌ تَرَكَها لِى أبى ، ولذلكَ فأنا لا أُفارِقُها أبدًا ، وإذا جاء اللَّيْلُ وضَعْتُ تلك الوصيَّةَ تحتَ رأسى ، وإذا لم تكُنْ وصيَّةُ أبى تحْتَ رأسى لا تغْمُضُ لى عَيْنٌ ، ولا يقَرُّ لى قرارٌ ، وإذا نِمتُ رأيْتُ فى منامى كوابيسَ مُفْزِعَةً ، وأحْلامًا مُرَوِّعَةً .. لابُدَّ لى من العْودَةِ لإحضارِها ، حتى يَهْنَأَ لِىَ الْعَيْشُ هنا ..

فَقالَ ابنُ آوَى فى نَفْسِهِ :

- إذا تركتُ الحِمارَ يرجعُ وحْدَهُ ، فقدْ لا يعودُ أبدًا ..

ثم هداهُ تفكيرُهُ إلى الْعَوْدَةِ مع الْحِمار ، حتى يضْمَنَ رجُوعَهُ ..

فقال مخاطِبًا الْحِمارَ :

- لقد شوَّقْتَنى يا أخى إلى رُؤْيَةِ هذه الْوَصِيَّةِ ، والاطِّلاعِ على ما فيها ، والانْتِفاعِ بها ..

فقالَ الْحِمارُ :



ـ هذا يُسْعِدُنى ، حتى تعْلَمَ كَمْ كان أبى حكيمًا ..

وقال ابْنُ آوَى :

ـ لقدْ عَزَمْتُ على الرُجوعِ معكَ ، ولكنْ هلْ تَحْفَظُ شيْئًا منْ تلك الْوَصيَّةِ ؟!

فهزَّ الحِمارُ رأْسَه بالنَّفْىِ .. ثم قال :

ـ لِلأسفِ لا أحْفَظُ من تلكَ الوَصيَّةِ سوى شَيْءٍ واحدٍ ..

فقال ابْنُ آوَى مُتَشَوِّقًا :

ـ ما هو هذا الشَّىْءُ الذى تَحْفَظُهُ ؟!

فقالَ الْحِمارُ :

ـ لقدْ قالَ لى أبى : إيَّاكَ أنْ تُفارِق هذه الْوَصِيَّةَ أبدًا .. والْباقى لا أتَذكَّرُهُ ، ولكنْ إنْ تذكَّرْتُهُ فسَوْفَ أُخْبِرُكَ به ..

فقال ابْنُ آوَى :

ـ إذنْ هيا بنا لِنُحْضِرَ تلكَ الْوَصِيَّةَ ..

وَمشَى الْحِمارُ عائدًا ، حتى ابْتعَدَ عنِ الذِّئْبِ ، وأَصْبَحَ فى أمانٍ ، فتوقَّفَ قائِلاً :

ـ لقدْ تذكَّرْتُ نصيحَةً أُخْرَى ..

فقالَ ابنُ آوَى :

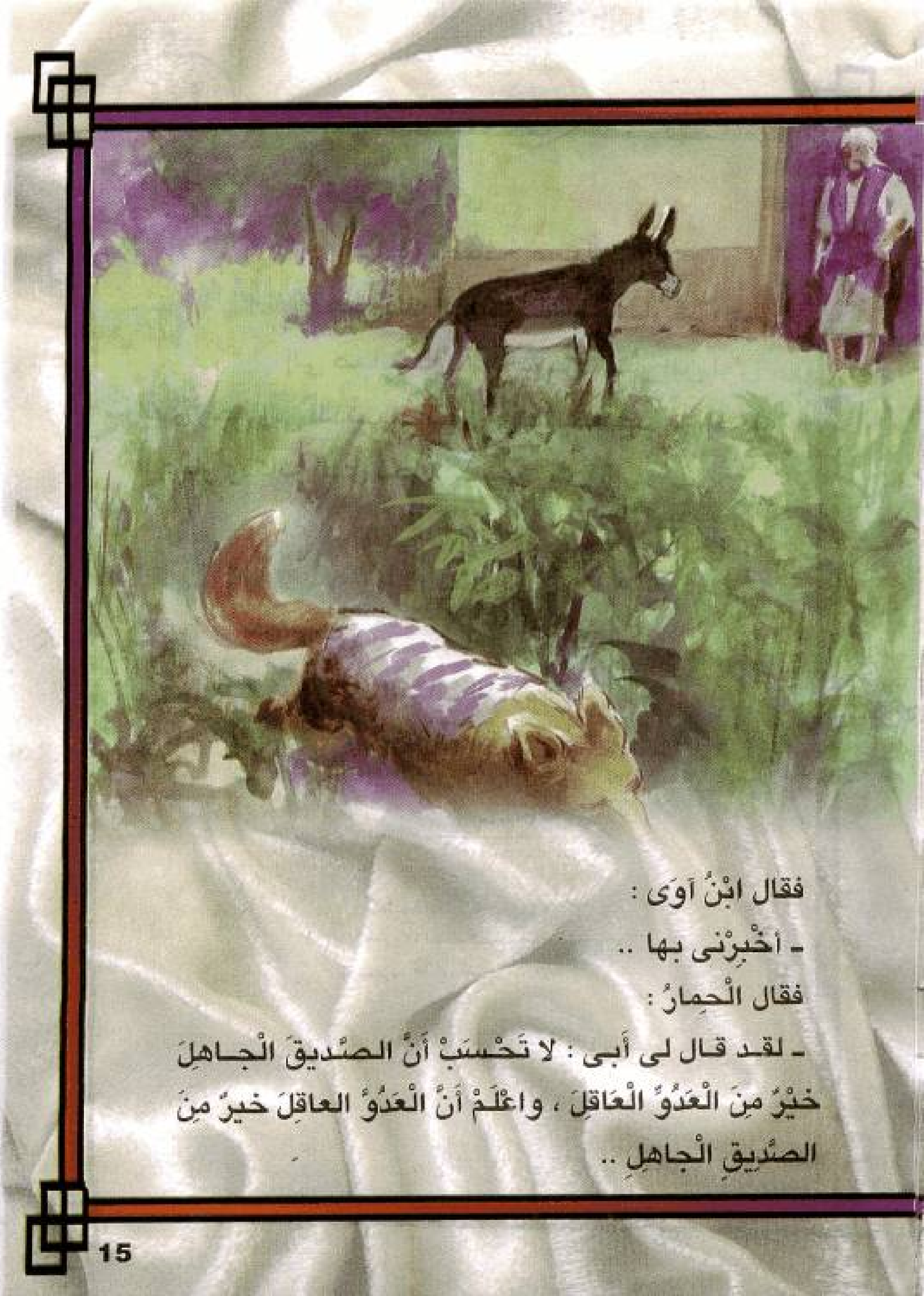
ـ أرْجوكَ أَخْبِرْنى بها ..

فقالَ الْحِمارُ :

ـ لقد قالَ لى أبى : إذا وقَعْتَ فى شِدَّةٍ ، فتَصَوَّرْ ما هو أشَدُّ مِنْها تَهُنْ عليْك ، وتجدْ أنَّها نِعْمَةٌ بالنِّسبةِ لِما هو أكْبَرُ مِنْها ، فتَشْتَغِلَ بشُكْرِها ، بدلاً منَ النِّقْمَةِ عليْها ..

ثم سار الْحِمارُ قليلاً وقال :

ـ لقدْ تذكَّرْتُ الوصِيَّةَ الثَّالِثَةَ ..



فقال ابْنُ آوَى :

ـ أَخْبِرْنى بها ..

فقال الْحِمارُ :

ـ لقد قال لى أَبى : لا تَحْسَبْ أَنَّ الصَّديقَ الْجاهِلَ خيْرٌ مِنَ الْعَدُوِّ الْعَاقِلَ ، واعْلَمْ أَنَّ الْعَدُوَّ العاقِلَ خيرٌ مِنَ الصَّدِيقِ الْجاهِلِ ..

فقالَ ابْنُ آوَى :

- إنَّها نَصَائِحُ حَسَنَةٌ ..

وفى ذلك الْوَقْتِ كانَ الْحِمارُ قد وصَلَ إلى صَاحِبِهِ ، ونَجا مِنْ غَدْرِ ابْنِ آوَى ، الذى رجعَ إلى الذِّئْبِ خَائبًا ، وهو يتعجَّبُ مِنْ حِيلَةِ الْحِمارِ وذكائِهِ الذى نجَّاه مِنْ مَوْتٍ مُحَقَّقٍ ..

(تَمَّتْ)

الْكِتابُ القَادِمُ

الْوَلَدُ الأَحْوَلُ

رقم الإيداع ٢٧٣٤٤

٩٧٧ - ٢٦٦ - ٣٤١ - ٤

المطبعة العربية الحديثة

٨، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية العباسية

القاهرة : ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ - ٢٨٣٥٥٥٤